الإمام
محمد أبو زهرة

محاضرات في النصرانية

تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى
وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم

دار الفكر العربي

المسيحية ، كما جاء بها المسيح عليه السلام

المسيحية فى القرآن :

٣ - قبل أن نخوض فى المسيحية كما هى عند المسيحيين نتكلم فى المسيحية التى جاء بها المسيح عليه السلام، وإنا إذا تصدينا للمسيحية التى جاء بها المسيح نجد التاريخ لايسعفنا بها، إذ بعد العهد ، واضطربت روايات التاريخ بالأحداث التى نزلت بالمسيحيين، ويجوز أن تكون قد عملت يد المحو والإثبات عملها، حتى اختلط الحابل بالنابل. وصار من العسير أن نميز الطيب من الخبيث، والحق من الباطل، والصحيح من غير الصحيح، وإننا معشر المسلمين لانعرف مصدرا صحيحا جديرا بالاعتماد والثقة من المسلم غير القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف، فهما المصدران المعتمدان للمسلم فى هذا. وما نكتب هذا لنلزم به المسيحيين، ولا على أنه هو المعتبر عندهم، ولكن نكتبه، ليتسق البحث، ولنتم السلسلة.

ينص القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هى التوحيد الكامل، التوحيد بكل شُعَبه، التوحيد فى العبادة، فلا يعبد إلا الله، والتوحيد فى التكوين، فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له، والتوحيد فى الذات والصفات فليست ذاته بمركبة، وهى منزهة عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى . فالقرآن الكريم يثبت أن عيسى مادعا إلا إلى التوحيد الكامل ، وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى يوم القيامة من مجاوبة بينه وبين ربه : «وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته، تعلم مافى نفسى، ولاأعلم مافى نفسك، إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به، أن اعبدوا الله ربى وربكم، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شئ شهيد» .

فهذا نص يفيد بصريحه أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد، فغير التوحيد إذن دخل النصرانية من بعده، وما كان عيسى إلا رسولا لله رب العالمين .

ولقد نزل على السيد المسيح كتاب هو الإنجيل، وهو مصدق للتوراة، ومحيى

http://kotob.no-ip.org

شريعتها، ومؤيد للصحيح من أحكامها، وهو مبشر برسول يأتى من بعده اسمه أحمد، وهو مشتمل على هدى ونور، وهو عظة للمتقين، وأنه كان على أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه، ولذلك قال الله تعالى : «وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» .

دعوة المسيح :

٤ - ولقد كانت دعوة المسيح عليه السلام تقوم على أساس أنه لا توسط بين الخالق والمخلوق، ولاتوسط بين العابد والمعبود، فالأحبار والرهبان لم تكن لهم الوساطة بين الله والناس، بل كل مسيحى يتصل بالله فى عبادته بنفسه، من غير حاجة إلى توسط كاهن أو قسيس أو غيرهما، وليس شخص - مهما تكن منزلته أو قداسته أو تقواه - وسيطا بين العبد والرب فى عبادته، وتعرف أحكام شرعه مما أنزل الله على عيسى من كتاب، وما أثر عنه من وصايا، وما اقترنت به بعثته من أقوال ومواعظ .

ودعوة عيسى عليه السلام - كما ورد فى بعض الآثار، وكما تضافرت عليه أقوال المؤرخين - تقوم على الزهادة والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفى لأن تقوم عليه الحياة، وكان يحث على الإيمان باليوم الآخر، واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبنى الإنسان فى الدنيا، إذ الدنيا ليست إلا طريقا غايته الآخرة، وابتداء نهايته تلك الحياة الأبدية .

ولماذا كانت دعاية المسيح عليه السلام إلى الزهادة فى الدنيا، والابتعاد عن أسباب النزاع والعكوف على الحياة الروحية ؟ الجواب على ذلك أن اليهود الذين جاء المسيح مبشرا بهذه الديانة بينهم كان يغلب عليهم النزعات المادية، وكان منهم من يفهم أن الحياة هى غاية بنى الإنسان، بل إن التوراة التى بأيديهم اليوم خلت من ذكر اليوم الآخر، ونعيمه أو جحيمه، ومن فرقهم من كان يعتقد أن عقاب الله الذى أوعد به العاصين، وثوابه الذى وعد به المتقين، إنما زمانه فى الدنيا لا فى الآخرة، وقد قال رينان الفيلسوف الفرنسى فى كتابه حياة المسيح : «الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها السلطة الفعلية فى نفس هذا العالم، فإنه يؤخذ من أقوال شيوخهم أن الصالحين يعيشون فى ذاكرة الله والناس إلى الأبد، وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله، ويكونون معروفين عند الله، أما الأشرار فلا، هذا كان جزاء أولئك ، وعقاب هؤلاء. ويزيد الفريسيون على ذلك أن الصالحين ينشرون

فى هذه الأرض يوم القيامة ليشتركوا فى ملك المسيح الذى يأتى لينقذ الناس، ويصبحوا ملوك العالم وقضاته، وهكذا يتنعمون بانتصارهم، وانخذال الأشرار أعدائهم، وعلى ذلك تكون مملكتهم فى هذا العالم نفسه» ا هـ . فجاء المسيح عليه السلام مبشرا بالحياة الآخرة، وأنها الغاية السامية لهذا العالم بين أولئك الذين أنكروها، ومن لم ينكرها بقوله منهم أنكرها بفعله، فكانوا فى ذلك الإنكار سواء .

مريم والمسيح فى القرآن الكريم :

٥ - وإذا كانت شخصية المسيح هى اللب فى المسيحية الحاضرة، وأساس الاعتقاد فيها، وجب أن نبينها كما جاءت فى القرآن، كما سنبينها كما جاءت فى المسيحية، ليستطيع القارئ أن يوازن بين الشخصيتين، ويعرف أيهما أقرب إلى التصور، والعقل يتقبلها بقبول حسن، ولنبدأ بأمه .

يذكر القرآن الكريم مريم أم عيسى عليه السلام، فيقص خبر الحمل بها وولادتها وتربيتها فى سورة آل عمران . فيقول تعالت كلماته : «إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً، فتقبل منى إنك أنت السميع العليم* فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالأنثى ، وإنى سميتها مريم، وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً، وكفلها زكريا، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ، قال يامريم أنى لك هذا، قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

هذه هى الأحوال التى اكتنفت الحمل بالبتول مريم، وولادتها، وتربيتها، ويلاحظ القارئ أن العبادة والنسك أظلاها، وهى جنين فى بطن أمها إلى أن بلغت مبلغ النساء، واصطفاها الله لأمر جليل خطير، فأمها وهى حامل بها نذرت أن يكون ما فى بطنها محرراً خالصاً لخدمة بيت الله وسدانته، والقيام بشئونه، واستمرت مصممة على الوفاء بنذرها، فلما وضعت، وكان نذرها على فرض الذكورة، كما يبدو من إشارات النصوص القرآنية، جددت العزم على الوفاء بالنذر، وقد وجدت ماتسوغه النفس للتحلل من النذر،

http://kotob.no-ip.org

فكان ذلك الإصرارعبادة أخرى، إذ وجدت فى النفس داعيات التردد، والرجوع والتحلل من الوفاء، فكان كفها هذه الداعيات والقضاء عليها عبادة أخرى، ثم انصرفت الفتاة الناشئة منذ طراوة الصبا إلى النسك والعبادة، وقام على تنشئتها وهدايتها وتعليمها نبى من أنبياء الله الصديقين الصالحين، فكفلها زكريا، ووجهها إلى العبادة الصحيحة، وتنزيه القلب من كل أدران الشر والإثم، وكان الله سبحانه وتعالى يدر عليها أخلاف الرزق من حيث لا تقدر ولاتحتسب، ومن غير جهد ولاعنت، حتى أثار ذلك عجب نبى الله كافلها فكان «كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال يامريم أنى لك هذا، قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

٦ - ولقد كانت تلك التنشئة الطاهرة التى تكونت فى ظلها بريئة من دنس الرذيلة - لايجد الشيطان سبيلا أو منفذا ينفذ إلى النفس منها - تمهيداً لأمر جليل قد اصطفاها الله تعالى له دون العالمين، ولذا خاطبتها الملائكة وهى الأرواح الطاهرة باجتباء الله لها: «إذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » . ولقد كان ذلك الاصطفاء هو اختيار الله لها لأن تكون أما لمن يولد من غير نطفة آدمية . وكان ذلك لكى تكون آية الله مشهورة ، تحمل فيما حف بها من أحوال القرائن التى تقطع ريب المرتاب، وألسنة كل أفاك، وتنير السبيل أمام المؤمنين، إذ أن ولادته من غير أب، من أم كانت حياتها للنسك والعبادة، والعكوف على التقوى، وتحت ظل نبى من أنبياء الله تعالى لم تزن بريبة قط - يجعل المؤمن يؤمن بآية الله الكبرى فى هذا الكون، ولا يجعل شيئاً يقف أمام مريد الهداية من تظن بالأم أو ريبة فيها، فحياتها كلها من قبل ومن بعد تنفى هذه الريبة، وتبعدها عن موطن الشبهة .

الحمل بالمسيح وولادته :

٧ - حملت العذراء البتول مريم بالسيد المسيح عليه السلام، وهو الأمر الذى اجتباها الله لأجله، ولقد فوجئت به، إذ لم تكن به عليمة . فبينما هى قد انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، أرسل الله إليها ملكاً تمثل لها بشراً سوياً «قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً *

قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغياً * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً * فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً» . حملت السيدة مريم البتول بعيسى من غير أب، ثم ولدته . ولم تبين الآثار النبوية مدة الحمل . فلم يرد فى الصحاح آثار تبين تلك المدة، ولو كانت مدة الحمل غريبة لذكرت ، فليس لنا إذن إلا أن نفرض أن مدة الحمل كانت المدة الغالبة الشائعة بين الناس . وهى مدة تسعة أشهر هلالية .

ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم ، سواء فى ذلك من يعرف نسكها وعبادتها، ومن لا يعرف، لأنها فاجأتهم بأمر غريب، وهى المعروفة بينهم بأنها عذراء ليس لها بعل، فكانت المفاجأة داعية الاتهام، لأنه عند المفاجأة تذهب الروية، ولا يستطيع المرء أن يقابل بين الماضى والحاضر، وخصوصاً أن دليل الاتهام قائم ، وقرينته أمر عادى لامجال للريب فيه عادة، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمها من هذه المفاجأة . فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام لينقض الاتهام من أصله، ويأتى على قواعده ويفاجئهم بالبراءة وبرهانها الذى لا يأتيه الريب، ليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه فى نسكها وعبادتها، ولذلك نطق الغلام، وهو قريب عهد بالولادة ، أشارت إليه «قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً * قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً * والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا» .

٨ - نطق السيد المسيح فى المهد، ليكون كلامه إعلاماً صريحاً ببراءة أمه، وأنه لم يكن إلا عبدا لله ، ولد من غير أب . ويروى ابن كثير : «عن ابن عباس أن عيسى ابن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلا، حتى بلغ ما يبلغ الغلمان، ثم أنطقه الله بعد ذلك بالحكمة والبيان، فأكثر اليهود فيه وفى أمه من القول، وكانوا يسمونه ابن البغية، وذلك قوله تعالى: «وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً»، ولم يذكر فى الآثار الصحاح عن النبى عليه الصلاة السلام حال عيسى عليه السلام فى مرباه ونشأته، وكيف كان منه

http://kotob.no-ip.org

مما يكون إرهاصاً بنبوته، فليس لنا إلا أن نقول أنه قد تربى بما كان يتربى به أمثاله الذين ينشئون على التقى والمعرفة فى إسرائيل، ويغلب على الظن أن يكون قد ظهر منه وهو غلام، ما يدل على روحانيته، ومايدعو إليه بعد ذلك من حياة روحية ، وسط قوم سيطرت عليهم المادة، وغلبت عليهم نزعاتهم، والاتجاه إليها .

الحكمة فى كون المسيح ولد من غير أب :

٩ - لابد من أن نشير هنا قبل أن ننتقل إلى بعثته عليه السلام إلى السبب الذى من أجله ولد عيسى عليه السلام من غير أب . فإنه لابد أن يكون ذلك لحكمة يعلمها الله جلت قدرته، وقد أشار إليها سبحانه فى قوله تعالت كلماته : «ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً» .

وإننا نلتمس تلك الآية الدالة فى ولادة عيسى عليه السلام من غير أب ، فنجد أنه يبدو أمام أنظارنا أمران جليان : أحدهما : أن ولادة عيسى عليه السلام من غير أب تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه الفاعل المختار المريد، وأنه سبحانه لايتقيد فى تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسببات التى نرى العالم يسير عليها فى نظامه الذى أبدعه الله والذى خلقه، فالأسباب الجارية لاتقيد إرادة الله، لأنه خالقها، وهو مبدعها ومريدها، فإن الأشياء لم تصدر عن الله جلت قدرته، كما يصدر الشئ عن علته، والمسبب عن مسببه، من غير أن يكون للعلة إرادة فى معلولها، بل كانت بفعله سبحانه وبإرادته التى لايقيدها شئ مهما يكن شأنه، وخلق عيسى من غير أب هو بلا ريب إعلان لهذه الإرادة الأزلية. بين قوم غلبت عليهم الأسباب المادية، وفى عصر ساده نوع من الفلسفة، أساسها أن خلق الكون كان من مصدره الأول، كالعلة من معلولها، فكان عيسى آية الله على أنه سبحانه لايتقيد بالأسباب الكونية، وأن العالم كله بإرادته، ولم يكن سبحانه بمنزلة العلة من المعلول : «تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً» .

الأمر الثانى : إن ولادة المسيح عليه السلام من غير أب إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها، حتى لقد زعموا أن الإنسان جسم لا روح فيه، وأنه ليس إلا تلك الأعضاء والعناصر التى يتكون منها، فلقد قيل عن اليهود أنهم كانوا لايعرفون الإنسان إلا جسماً عضوياً، ولايقرون أنه جسم وروح ، فقد قال رينان فى سبب الحقد الذى تغلغل فى النفس

اليهودية : «لو كان الشعب الإسرائيلى يعرف التعاليم اليونانية التى كان من مقتضاها اعتبار الإنسان عنصرين مستقلين : أحدهما الروح ، والآخر الجسد، وإنها تعذبت الروح فى هذه الحياة لأنها تستريح فى الحياة الثانية، لسرى عنه شئ كثير من عذاب النفس واضطراب الفكر، بسبب ذله وخضوعه مع ما كان يراه فى نفسه من الامتياز الأدبى والدينى عن الشعوب التى كانت تذله» .

يقرر رينان فى هذا أن اليهود ما كانوا يقولون كاليونان أن الإنسان جسم وروح، ولقد يؤيد هذا ما جاء فى التوراة التى بأيديهم فى تفسير النفس بأنها الدم، فقد جاء فيها: «لاتأكلوا دم جسم ما ، لأن نفس كل جسد هى دمه»، إذن لم يكن اليهود يعرفون الروح على أنها شئ غير الجسم. فلما جاء عيسى من غير أب . وكان إيجاده بروح من خلق الله، كما قال« والتى أحصنت فرجها، فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين» كان ذلك الإيجاد الذى لم يكن العامل فيه سوى ملك من الأرواح نفخ فى جيب مريم . فكان الإنسان من غير بذرة الإنسان وجرثومته . كان ذلك إعلاناً لعالم الروح بين قوم أنكروها، ولم يعرفوها، فكان هذا قارعة قرعت حسهم ليدركوا الروح، وكان آية معلمة لمن لم يعرف الإنسان إلا أنه جسم لاروح فيه، وهذه آية الله فى عيسى وأمه عليهما السلام .

بعثة عيسى عليه السلام ومعجزاته :

١٠ - بعث عيسى عليه السلام ، ولم يرد فى القرآن، ولا فى الآثار الصحاح بيان السن التى بعث عند بلوغها عليه السلام. ولكن ورد فى بعض الآثار أنه بعث فى سن الثلاثين، وهى السن التى تذكر الأناجيل المعبرة عند النصارى أنه بعث على رأسها، ويصح لنا أن نفرض أنه بعث فى هذه السن على هذا الأساس .

بعث عيسى عليه السلام يبشر بالروح، وهجر الملاذ التى استغرقت النفوس فى تلك الأيام، واستولت عليها، ويبشر بعالم الآخرة، ولقد أيده الله بمعجزات ، وأن ولادته نفسها معجزة، كما جاء فى الملل والنحل للشهر ستانى، فقد قال رحمه الله فى ذلك : «كانت له آيات ظاهرة، وبينات زاهرة، مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة، ونطقه من غير تعليم سابق» .

http://kotob.no-ip.org

ومعجزاته التى ذكرها القرآن الكريم تتلخص فى خمسة أمور، جاء ذكر أربعة منها فى سورة المائدة فى قوله تعالى : «إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك، إذ أيدتك بروح القدس، تكلم الناس فى المهد وكهلا، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى، وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى، وإذ تخرج الموتى بإذنى» .. إلى قوله تعالت كلماته : «إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها، وتطمئن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا، وآية منك وارزقنا، وأنت خير الرازقين * قال الله إنى منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم، فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين» .

ويستبين من هذه الآيات الكريمة أربع معجزات :

الأولى : أنه يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، أى أن الله سبحانه وتعالى خلق على يديه طيراً من الطين، فالخالق هو الله سبحانه وتعالى . ولكن جرى الخلق على يد عيسى، وينفخ منه عليه السلام بإذن الله تعالى .

الثانية : إحياؤه عليه السلام الموتى بإذن الله جلت قدرته، والمحيى فى الحقيقة هو الله العلى القدير، ولكن أجرى الإحياء على يد المسيح عليه السلام ، ليكون ذلك برهان نبوته، ودليل رسالته .

الثالثة : إبراؤه عليه السلام الأكمه والأبرص، وهما مرضان تعذر على العالم قديمه وحديثه العثور على دواء لهما، والتمكن من أسباب الشفاء منهما، ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما، وبرئ المريضان برقيته، فكان دليلا قائماً على رسالته عليه السلام .

الرابعة : إنزال المائدة من السماء بطلب الحواريين، لتطمئن قلوبهم، وليعلموا أن قد صدقهم .

وهناك خامسة ذكرت فى سورة آل عمران، وهى إنباؤه عليه السلام بأمور غائبة عن حسه، ولم يعاينها، فقد كان ينبئ صحابته وتلاميذه بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم. وقد ذكر الله تعالى فى قوله جل شأنه حاكياً عنه «وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين» .

الحكمة من كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع :

١١ - هذه معجزات عيسى عليه السلام، وهنا يتساءل القارئ : لماذا كانت معجزاته عليه السلام من ذلك النوع ؟ يجيب عن ذلك ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية بقوله : «كانت معجزة كل نبى فى زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزاته مما يناسب أهل زمانه، وكانوا سحرة أذكياء، فبعث بآيات بهرت الأبصار، وخضعت لها الرقاب، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهى إليه، وعاينوا ماعاينوا من الأمر الباهر الهائل الذى لايمكن صدوره إلا ممن أيده، وأجرى الخارق على يديه تصديقاً له أسلموا سراعاً، ولم يتلعثموا . وهكذا عيسى ابن مريم بعث فى زمن طبائعية الحكماء، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها، وأنى لحكيم إبراء الأكمه الذى هو أسوأ حالا من الأعمى، والأبرص والمجنوم ومن به مرض مزمن، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره، وغير هذا مما يعلم كل أحد أنه معجزة دالة على صدق من قامت به، وعلى قدرة من أرسله، وهكذا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين، بعث فى زمن الفصحاء البلغاء، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فلفظه معجزة تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة، وقطع عليهم بأنهم لايقدرون لا فى الحال، ولا فى الاستقبال، فلم يفعلوا، ولن يفعلوا، وما ذلك إلا أنه كلام الخالق عز وجل، والله لايشبهه شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

ما نراه حكمة صحيحة :

١٢ - من هذا الكلام يستفاد أن معجزة المسيح كانت من نوع إبراء المرضى الذين يتعذر شفاؤهم، وإحياء الموتى، لأن القوم كانوا على علم بالطب الطبيعى، وكانوا فلاسفة فى ذلك، فجاءت المعجزة من جنس ما يعرفون، ليكون عجزهم حجة عليهم، وعلى غيرهم ممن

http://kotob.no-ip.org

هم دونهم فى الطب، ولكن رينان الفيلسوف المؤرخ الفرنسى يقرر أن اليهود ما كانوا على علم بالطب الطبيعى فيقول : «كانت صناعة الطب فى المشرق فى ذلك الزمان كما هى اليوم، فإن اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التى وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ، وكان قد ظهر قبل ذلك بأربعة قرون ونصف كتاب لأبقراط أبى الطب موضوعه العلة المقدسة، يعنى الهستريا، وفيه وصف هذه العلة، وذكر دوائها ، إلا أن اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب، وكان فى اليهودية فى ذلك الزمان كثيرون من المجانين، وربما كان ذلك ناشئاً من شدة الحماسة الدينية .

فاليهود الذين بعث المسيح بين ظهرانيهم لم يكونوا على علم إذن بالطب، أو الطب الطبيعى على رأى ذلك الفيلسوف المؤرخ .

وفى الحق أن الذى نراه تعليلا مستقيما لكون معجزات السيد المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه، لا لأنهم أطباء، فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والأدواء، بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح فى أقوال بعضهم، وأفعال جميعهم، فجاء عليه السلام بمعجزة هى فى ذاتها أمر خارق للعادة، مصدق لما يأتى به الرسول، وهى فى الوقت ذاته إعلان صادق للروح، وبرهان قاطع على وجودها، فهذا طين مصور على شكل طير، ثم ينفخ فيه فيكون حياً، ماذاك إلا أن شيئاً غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه، فكانت معه الحياة، وهذا ميت قد أكله البلى، وأخذت أشلاؤه فى التحلل ، وأوشكت أن تصير رميما، أو صارت . يناديه المسيح عليه السلام، فإذا هو حى يجيب نداء من ناداه، وماذاك إلا لأن روحاً غير الجسم الذى غيرّه البلى حلت فيه بذلك النداء، ففاضت عليه بالحياة، وهكذا . فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته، وتناسب أخص رسالته، وهو الدعوة إلى تربية الروح، والإيمان بالبعث والنشور، وأن هناك حياة أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه والمسئ بإساءته، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهل ترى أن معجزة إحياء الموتى تسمح لمنكر الآخرة بالاستمرار فى إنكاره أو تسمح لجاحد البعث والنشور أن يستمر فى جحوده. وقد أسلفنا لك القول أن اليهود كان يسود تفكيرهم عدم الاعتراف بوجود الآخرة . وعدم الإيمان

باليوم الآخر . إن لم يكن بالقول فبالعمل، فكان إحياء الموتى صوتاً قوياً يحملهم على الإيمان حملا، ولكنهم كانوا بآيات الله يجحدون .

تلقى اليهود لدعوته :

١٣ - بعث عيسى عليه السلام بتلك البينات، وأيد رسالته بتلك المعجزات ، وأنها باهرة تخرس الألسنة ، وتقطع الطريق على منكرى رسالته . لو كان الدليل وحده هو الذى يهدى النفوس الضالة، والقلوب الشاردة، ولكن القوم الذين بعث فيهم كانوا غلاظ الرقاب، قساة القلوب، فكانت مهمته شاقة، إذ حاول هدايتهم، لأن منهم من علم الديانة رسوماً وتقاليد يتجهون إلى الأشكال والمظاهر منها دون الاتجاه إلى لبها وغايتها . حتى لقد كان منهم من يحجم عن عمل الخير فى يوم السبت زاعماً أنه داخل فى عموم النهى عن العمل فيه، فإذا جاء المسيح داعياً إلى أن ينظروا إلى إصلاح القلب، بدل الأخذ بالمظاهر والأشكال فإنه لاشك يصدم هؤلاء فيما يألفون وفيما وجدوا عليه سابقيهم .

واليهود قوم عكفوا على المادة، واستغرقتهم، واستولت على أهوائهم ومشاعرهم حتى لقد كان نساكهم وسدنة الهياكل عندهم، وقد فاتهم العمل على كسب المال من أبوابه الدنيوية - يجمعون المال من نذور الهياكل، والقرابين التى يتقرب بها الناس، ويحرصون على ذلك أشد الحرص . فكانوا يأخذون القرابين من أشد الناس حاجة وأفقرهم . فجاء المسيح وندد بهذا .

ولقد اتخذ بنو إسرائيل من تدينهم المزعوم بدين موسى والأنبياء من بعده، وزعمهم أن لهم منزلة دينية لايساميهم فيها أحد - اتخذوا من هذا ما يصح أن يسمى أرستقراطية دينية ! فزعموا أن لهم المكانة السامية، ولغيرهم المنزل الدون، ولو اعتنقوا الديانة اليهودية، وآمنوا برسالة موسى، فكانت هناك طائفة يقال لها السامرة، وكان الإسرائيليون يعاملون آحادها، كأنهم المنبوذون . فلما جاء عيسى عليه السلام، وسوى بين بنى البشر فى دعايته أنكروا عليه ذلك وناصبوه العداء .

ولقد كانوا يجعلون لأحبارهم وعلماء الدين فيهم المنزلة السامية والمكانة العالية دون الناس . فجاء المسيح وجعل الناس جميعاً سواء أمام ملكوت الله .

http://kotob.no-ip.org

مناوأة اليهود له :

١٤ - لكل هذا تقدم اليهود لمناوأة المسيح . وقليل منهم من اعتنق دينه وآمن به . وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعايته، فلما أعيتهم الحيلة، ورأوا أن الضعاف والفقراء يجيبون نداءه، ويلتفون حوله مقتنعين بقوله - أخذوا يكيدون له، ويوسوسون للحكام بشأنه، ويحرضون الرومان عليه، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون إلى المسائل الدينية والخلافات المذهبية بين اليهود، بل تركوا هذه الأمور لهم يسوونها فيما بينهم، واليهود يريدون أن يغروا الرومان بعيسى كيفما كان الثمن. فبثوا حوله العيون يرصدونه، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحكام، عساهم يجدون كلمة له يتعلقون بها وينقلونها للحاكم الرومانى، فلم يجدوا؛ لأن المسيح ما كان يدعو إلا إلى إصلاح الجانب النفسى الخلقى، ولم يكن قد اتجه إلى إصلاح الحكومة بعد. ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه، وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الرومانى على أن يصدر الأمر بالقبض عليه، والحكم عليه بالإعدام صلباً .

نهاية المسيح فى الدنيا :

١٥ - وهنا نجد القرآن الكريم يقرر أن الله لم يمكنهم من رقبته ؛ بل نجاه الله من أيديهم : «فما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم» ، وبعض الآثار تقول أن الله ألقى شبهه على يهوذا ، ويهوذا هنا هو يهوذا الأسخريوطى الذى تقول الأناجيل عنه أنه هو الذى دس عليه، ليرشد القابضين إليه، إذ كانوا لايعرفونه، وقد كان أحد تلاميذه المختارين فى زعمهم .

ولقد وافق هذا إنجيل برنابا موافقة تامة، ففيه : ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع سمع يسوع دنو جم غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفا، وكان الأحد عشر نياما، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل وروفائيل وأدريل[1] سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم . فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح الله إلى الأبد .. ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياماً فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه، فصار شبيهاً بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن استيقظ أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا، وأجبنا : أنت ياسيدى معلمنا، أنسيتنا الآن ... إلخ» .

(١) يريد إسرافيل وعزرائيل

والأناجيل المعتبرة عند المسيحيين لم تختلف فى شئ كاختلافهم فى قصة الصلب ، فلكل رواية بشأنها .

المسيح بعد نجاته :

١٦ - لم يصلب المسيح بنص القرآن، ولكن شبه على القوم ، لقوله تعالى : «وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم» وقوله تعالى : «وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه» وإذا كان المسيح عليه السلام لم يصلب، فما هى حاله بعد ذلك ؟ اختلف فى هذا الشأن مفسرو القرآن، فجلُّهم على أن الله سبحانه وتعالى رفعه بجسمه وروحه إليه، وأخذوا بظاهر قوله تعالى فى مقابل القتل، بل رفعه الله إليه؛ وببعض آثار قد وردت فى ذلك ، وفريق آخر من المفسرين، وهم الأقل عدداً، قالوا : إنه عاش حتى توفاه الله تعالى كما يتوفى أنبياءه، ورفع روحه إليه كما ترفع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء، وأخذوا فى ذلك بظاهر قوله تعالى : «إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة». «فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شئ شهيد» ولكل من المختلفين وجهة هو موليها، ولا نريد أن ندخل فى تفصيل حجج الفريقين وترجيح إحداهما على الأخرى؛ فلذلك موضع ليس هذا مقامه .

١٧ - ويزعم بعض الناس أن المسيح عليه السلام قد هاجر إلى الهند، وأنه عاش فيها حتى استوفى أجله، ومات هناك، وله قبر، ولقد جاء فى تفسير المنار ما نصه : «وجد فى بلدة سرى نكرا مقبرة فيها مقام عظيم يقال أنه مقام نبى جاء بلاد كشمير من زهاء ألف وتسعمائة سنة ، ويسمى يوز آسف ويقال أن اسمه الأصلى عيسى، وأنه نبى من بنى إسرائيل، وأنه ابن ملك، وأن هذه الأقوال مما يتناقله أهل تلك الديار عن سلفهم، وتذكر فى كتبهم، وأن دعاة النصرانية الذين رأوا ذلك المكان لم يسعهم إلا أن قالوا أن ذلك القبر لأحد تلاميذ المسيح أو رسله» هذا ما جاء فى تفسير المنار، وقد ذكر أن نقله عن غلام أحمد القديانى الهندى وهو راو يشك فى صدقه .

هذا ، وأن القرآن الكريم لم يبين ماذا كان من عيسى بين صلب الشبيه ووفاة عيسى أو رفعه على الخلاف فى ذلك، ولا إلى أين ذهب، وليس عندنا مصدر صحيح يعتمد عليه، فلنترك المسألة، ونكتف باعتقادنا اعتقاداً جازماً أن المسيح لم يصلب ، ولكن شبه لهم .

http://kotob.no-ip.org

المسيحية بعد المسيح

ما نزل بالمسيحيين من اضطهاد :

١٩ - هذا هو المسيح كما جاء فى كتبهم وتعاليمهم، ولانريد أن نخوض فى بيان خلافاتهم حوله، ولا بيان اختلافهم فى تفسير هذه العقيدة، ولا فى تفصيل مجملها قبل أن نبين ما نزل بالمسيحيين بعد المسيح، ولكنا سارعنا إلى بيان اعتقادهم الذى استقروا عليه فى المسيح ليوازن القارئ بين ما جاء فى القرآن الكريم، وما جاء فى أناجيلهم وتعاليمهم .

ونعود بعد ذلك إلى ما يوجبه البحث العلمى، وهو تتبع العقيدة فى نموها، وفى استقامتها أو انحرافها بعد صاحبها، وتمهيدا لذلك نبين ما نزل بالمسيحيين بعده، لكى يستبين القارئ مقدار قوة السند بين الديانة وصاحبها مع هذه الأحداث، وليعرف الفلسفة التى عاصرت المسيحية ومقدار اتصالهما .

اتفقت المصادر شرقية وغربية، دينية وغير دينية : على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث، جعلتهم يستخفون بديانتهم، ويفرون بها أحيانا ويصمدون للمضطهدين مستشهدين أحيانا أخرى، وهم فى كلتا الحالتين لاشوكة لهم ولاقوة تحميهم، وتحمى ديانتهم وكتبهم، وأنه فى وسط هذه الاضطهادات يذكرون أنه دونت أناجيلهم الأربعة التى يؤمنون بها، ودونت رسائلهم ! !

وأول اضطهاد نزل بالمسيحيين كان فى عهد المسيح، وانتهى بالخاتمة التى بيناها . ولقد نزلت من بعده الشدائد بالمسيحيين بما يتفق مع هذا الابتداء . فلقد جاء قيصران بعد طيباروس الذى عاصر المسيح ، كانا شديدين على تلاميذه، وقتلا منهم قتلا ذريعا، وفى زمن ثانيهما دوّن متى إنجيله بالعبرية ، وترجمه يوحنا صاحب الإنجيل إلى اليونانية، على رواية ابن البطريق كما سنتبين، ولم يكن الاضطهاد فى عهد هذين القيصرين من الرومان فقط، بل كان من اليهود أيضا، وأذاهم أمكن، وتنقيبهم عن العقيدة أدخل. لأنهم من الشعب ومخالطوهم ومعاشروهم، فهم بداخلهم أعرف .

وأشد ما نزل من أذى كان فى عهد نيرون (سنة ٦٤م) وتراجان سنة ١٠٦م وديسيون (٢٤٩ - ٣٥١م) ودقلديانوس (سنة ٢٨٠م) ، فنيرون أهاج الشر عليهم، وأنزل البلاء والعذاب بهم، واتهمهم بأنهم الذين أحرقوا روما، فأخذهم بجريرتها . وكانت السنوات

http://kotob.no-ip.org

الأربع الأخيرة عذابا أليما لهم . فقد تفنن هو وأشياعه فى هذا العذاب، حتى لقد كانوا يضعون بعضهم فى جلود الحيوانات ويطرحونهم للكلاب فتنهشهم، وصلبوا بعضهم، وألبسوا بعضهم ثيابا مطلية بالقار، وجعلوهم مشاعل يستضاء بها، وكان هو نفسه يسير فى ضوء تلك المشاعل الإنسانية .

وفى عصر نيرون هذا دوّن الإنجيل مرقس سنة ٦١ على رواية، وكان بمصر وقد كتبه عنه بطرس وهو برومة، وكتب أيضا لوقا إنجيله فى عهد هذا القيصر، وفى ابتداء هذا الإنجيل ينص على أنه يراسل به تاوفيلس، ليؤكد له صحة الكلام، وتاوفيلس هذا رجل من عظماء الروم وأشرافهم، وفى عصر هذا القيصر أو بعده دوّن يوحنا إنجيله .

وفى عهد تراجان نزلت بهم آلام، لأنهم قد جرت عادتهم بالصلاة فى الخفاء وهربا من الاضطهاد، وقد أمر تراجان بمنع الاجتماعات السرية، فأنزل بهم الذل والعذاب لذلك، ولأنهم مسيحيون لايدينون بدين القيصر .

جاء فى كتاب تاريخ الحضارة «لقد كتب بلين - وكان واليا فى آسيا - إلى الإمبراطور تراجان كتابا يدل على الطريقة، التى كان يُعامَل بها المسيحيون، قال : «جريت مع من اتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية، وهو أنى أسألهم إذا كانوا مسيحيين فإذا أقروا أعيد عليهم السؤال ثانيا وثالثاً مهددا بالقتل، فإن أصروا أنفذت عقوبة الإعدام فيهم، مقتنعا بأن غلطهم الشنيع، وعنادهم الشديد، يستحقان هذه العقوبة. وقد وجهت التهمة إلى كثير بكتب لم تذيل بأسماء أصحابها، فأنكروا أنهم نصارى، وكرروا الصلاة على الأرباب الذين ذكرت أسماءهم أمامهم وقدموا الخمور والبخور لتمثال أتيت به عمدا مع تماثيل الأرباب، بل إنهم شتموا المسيح، ويقال أن من الصعب إكراه النصارى الحقيقيين، ومنهم من اعترفوا بأنهم نصارى، ولكنهم كانوا يثبتون بأن جريمتهم فى أنهم اجتمعوا فى بعض الأيام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على أنه رب ، وعلى إنشاد الأناشيد إكراما له ، وتعاهدوا بينهم لا على ارتكاب جرم، بل على ألا يسرقوا ، ولا يقتلوا، ولا يزنوا، وأن يوفوا بعهدهم، ورأيت من الضرورى لمعرفة الحقيقة أن أعذب امرأتين ذكرتا أنهما خادمتا الكنيسة بيْد أنى لم أقف على شئ سوى خرافة سخيفة مبالغ فيها» .

وهذا الكتاب كاشف كل الكشف عما كان يحدث للنصارى فى عهد ذلك القيصر من اضطهاد وتعذيب، وتنقيب على القلب وخبيئة النفس .

ولم ينقطع الاضطهاد بعد موت تراجان ، بل استمر؛ وإن أخذت الرأفة بعض القياصرة، خلف من بعده خلف ينزلون عذابا مرا يزيل أثر كل رحمة سابقة كانت نسبية حتى جاء ديسيوس فأنزل بهم من البلاء ما تقشعر من هوله الأبدان، ولنترك القلم لبطريرك الإسكندرية، يصف بعض ماعاين من ديسيوس بعد أن ذاق بعض الرحمة من سابقه، فهو يقول : «لم نكد نتنفس الصعداء ، حتى حلق بنا الخوف وحفنا الخطر، عندما بدل ذلك الملك الذى كان أرق جانبا ، وأقل شرا من غيره، وجاء مكانه ملك آخر، ربما لايجلس على كرسى المملكة حتى يوجه أنظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا. وقد تحقق حدسنا، عندما أصدر أمرا شديد الوطأة . فعم الخوف الجميع، وفر بعضهم، وقد أبعد كل مسيحى من خدمة الدولة، مهما يكن ذكاؤه، وكل مسيحى يرشد عنه يؤتى به على عجل ويقدم إلى هيكل الأوثان، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم، وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة أن يكون هو الذبيحة . بعد أن يجتهدوا فى حمله بالترهيب . . . ومن ضعاف الإيمان من أنكر مسيحيته واقتدى به البعض، ومنهم من تمسك بأذيال الفرار، أو من زج به فى غيابات السجون» .

وهكذا يقص ذلك القسيس ما نزل بهم حتى انتهى به الأمر إلى فراره هو، وقد كتب يعتذر[1] عن ذلك إلى بعض من أبلوا بلاء حسنا، ولم يلوذوا بالفرار .

ولم يكن البلاء مقصورا على مصر ، بل كان يتتبع المسيحيين، فى الدولة الرومانية حيثما ثقفوا، وأينما كانوا . ولى بعد ديسيوس من أوقع البلاء وأنزله بالمسيحيين، ولكن كان أشد هؤلاء وأبلغهم أذى وأنكاهم بطشا – دقلديانوس الذى جاء إليهم، بعد أن خف العذاب عنهم قليلا، وقد رجوا فيه خيرا، وأملّوا منه أن يكون عونا، لأن مدير خاصته مسيحى، ولكنه كان أشد من غيره على المسيحيين، وخصوصا المصريين، وذلك لأن المصريين رأوا أمما تحللت من حكم الرومان، وفكوا أغلاله ، فاقتدوا بهم، ونزعوا إلى السير فى طريق الحرية والاستقلال، وساروا فيه، وعقدوا الإمرة لواحد منهم، فجاء دقلديانوس إلى مصر، وأنزل بها البلاء، وأزال استقلالها، وأعاد فتحها، وكانت كثرتها فى ذلك الإبان مسيحية، وقد أمر بهدم الكنائس، وإحراق الكتب، وأصدر أمرا بالقبض على الأساقفة والرعاة، وزجهم فى غيابات السجن، وقهر المسيحيين وحملهم على إنكار دينهم، وقد استشهد فى هذا الوقت عدد كبير من الأقباط تجاوزت عدتهم أربعين ومائة ألف، وعدهم بعض المؤرخين ثلاثمائة

(١) راجع فى هذا كتاب تاريخ الأمة القبطية الجزء الأول ص ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦ .

http://kotob.no-ip.org

ألف، ولكثرة ما استشهد من شهداء وما نزل من بلاء كانت ولاية دقلديانوس حادثا ذا خطر فى شأن مصر فجعلوه مبدأ تقويمهم؛ وذلك فى سنه ٢٨٤ ميلادية .

وقد استمر البلاء ينزل من قياصرة الروم حتى جاء عهد قسطنطين، يمنا وبركة على المسيحيين، لا على المسيحية كما سنبين .

أثر الاضطهادات فى الديانة :

٢٠ - هذه هى الاضطهادات التى قارنت المسيحية فى نشأتها وفى تكوينها وليدا وفى تدرجها، وفى عصر تدوينها ورواية كتبها، وهى مع أسباب أخرى جعلت بعض العلماء يبحثون عن قيمة هذه الكتب، وجعلت بعض العلماء المسيحيين أنفسهم يعتذرون عن بعض الاضطراب فى الأناجيل بأنها دونت فى عصور اضطهاد المسيحية الأولى، بل إن مناظريهم يقررون بأن تلك الاضطهادات كانت سببا فى فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة . يقول الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه إظهار الحق : «طلبنا مرارا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم، فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة، وتفحصنا كتب الإسناد لهم، فما رأينا فيها شيئا غير الظن، يقولون بالظن، ويتمسكون ببعض القرائن . وقد قلت أن الظن فى هذا الباب لايغنى شيئا، فما داموا لم يأتوا بدليل شاف، وسند متصل فمجرد المنع يكفينا . وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا» . وفى الحق أن تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به فى شئونهم الدينية - وخاصة ما كان متصلا ببيان الشريعة - يقومون به سرا لا جهرا ، وفى خفية من العيون المتربصة، والأعداء المترقبين، والسرية يحدث فى ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يحكى عما يحدث فيها، فيتظنن فى كل ما يروى عنها، ولامانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها، وينقل عن أشخاصهم ما لم يقولوه، ويتسامع الجمهور أمورا ما حدثت فى تلك الاجتماعات، ولا قالها حاضروها، فإذا جرى الشك والريب فيما دوّن من كتب المسيحية التى فقدت سندها بسبب هذا الاضطهاد، والتى كتبت فى ظلمة السرية، يكون قد وقع حيث وجدت دواعيه، وقامت شواهده .